تعلبايا أحبّت شاباً من سعدنايل تقدّم لخطبتها. لكنّ والد البنت رفضه متأثراً بالخلافات التي استجدت بعد اغتيال الرئيس الحريري. وكانت هذه الخلافات قد أدت إلى طلاق أكثر من فتاة من البلدتين. تتابع الصبية روايتها وهي تهز برأسها امتعاضاً من عدم تفهّم الأهل، وخصوصاً أنْ لا علاقة للشباب بما يفرضونه عليهم من خلافات سياسية ومذهبية.

أما الزميلة الثالثة، فلم تتردد في الموافقة على الزواج بمجرد أن وفّر حبيبها المسكن والأثاث. هيّأت هويتها وما تيسّر لها من أمتعة، لتذهب معه خارج المنطقة في ضيافة أحد أصحابه. وقد عُقد قرانهما قبل احتواء الأمر بين أهل الشاب وأقارب الفتاة، فيما كانت الأمور تذهب باتجاه القتل.

حالة الرابعة لا تختلف عن سابقاتها لجهة الإصرار على الزواج من الحبيب، في وقت كان يخطط فيه الأهل لتزويجها «مقايضة»، بشاب قريبهم تزوجت شقيقته بابنهم. أما الأسباب التي كان يقدمها الوالد لرفض العريس فـ«إنّو وضعو مش كتير منيح».

شكوى الأهل من الظروف المادية السيئة جعلت حبيبين آخرين يخطفان نفسيهما، إلى إحدى القرى في البقاع الغربي، رغم أن الفتاة في السابعة عشرة والشاب في التاسعة عشرة. وعندما رفض والد الفتاة أن يكون هو أو أيّ من أعمامها وكيلها، أثناء «كتب الكتاب»، كلف القاضي نفسه وكيلاً شرعياً لها ليُنهي عقد قرانهما بأسرع وقت.

ومع أن خطيب إحدى الفتيات كان «كاتب كتابها على سنّة الله ورسوله»، فإنّ مشكلة وقعت بين العروس وأمها على خلفية تجهيزات العرس و«شروطها اللي ما انتهت، وما كانت بحسبان العريس». الفتاة التي رفضت إملاءات والدتها، لم تسلم من «قتلة محرزة»، قبل أن تخطف نفسها مع خطيبها، ويختفيان أسبوعاً عن الأنظار.

أما زواج إحداهن «خطيفة» فلم يكن بسبب رفض والديها فحسب بل أعمامها أيضاً. ذنب الشاب أنه قريب لشخص متهم بتجارة المخدرات، ويساور ذويها الشك في أنه يعمل معه. لكن هذه المبررات لم تقف حاجزاً أمام الفتاة التي قبلت عرض من تعشقه للزواج «ويصير شو ما يصير».

تضحك الطالبة في السنة الجامعية الأولى حين تروي قصة زميلتهن السابعة. تقول: «ما شجّعها، «تروح خطيفة»، حصول ست حالات خلال اليوم الذي شاهدها فيه والدها في إحدى زواريب البلدة، وهي تقف تتحدث إلى حبيبها. وحين شاهدته قررت الهروب، «وبدل ما تروح عالبيت راحت خطيفة، حتى تزمط من القتلة ومن حرمانها من الخروج برات البيت».

> الأهل قد يصالحون الخاطب ولا يصالحون ابنتهم التي أهانت كرامتهم

يلوم القاضي الشرعي في محكمتي بر الياس وبعلبك، الشيخ عبد الرحمن شرقية، أهل الفتاة، باعتبار أنّ ما يقدم عليه الشاب والفتاة، هو «خطوبة يتفاهمان عليها بعيداً عن رأي الأهل»، وأنّ «الخطيفة» بهدف الزواج ليست اغتصاباً، وإن كانت لا تأخذ المنحى الشرعي، لكون الخطيبة والخاطب يخرجان معاً من دون رابط شرعي. وعن دور المحكمة الشرعية في هذا المجال، يشرح القاضي شرقية أنّ المحكمة، تحيل عاقد القران خارج المحكمة الشرعية على النيابة العامة، «لأن في الأمر خطورة وتهديداً لكرامة الأهل يستدعيان اللجوء إلى المحكمة». هذه الأخيرة تراسل ولي أمر المخطوبة، بعد أن تتقدم المخطوبة بطلب إلى القاضي، تطلب فيه التدخل وتعلن «أنها تريد الزواج بخاطبها، وأن أهلها يرفضون ذلك»، وعلى هذا الأساس تجري مراسلة الوالد أو ولي الأمر. وإذا قدّم الوالد أسباباً جوهرية تمنع عقد القران، يؤخذ بها كتعاطي المخدرات أو الخمر أو الميسر.

لكن القاضي يلفت إلى أنّ الأسباب غالباً غير جوهرية، تتعلق بالوضع الاقتصادي للخاطب أو بالمستوى الاجتماعي المختلف، وهذه ليست من الموانع، و«إذا تمنّع ولي أمرها أن يكون وكيلها، يكون القاضي وكيلاً لها في هذه الحالة، ويطلب مهراً مؤجّلاً يزيد على مهر أقرانها، ليحفظ الرجعة بها».

وعن مطالبة ذوي الفتيات، بإرجاعهن إليهم، يؤكد أنّ «هذا أمر خطير جداً ولا أحد يستطيع أن يتحمل مسؤوليته»، «وقد حدث أن سلّمنا بعضهن إلى ذويهن من خارج المحكمة، فكانت النتيجة أن قُتلن».

يدعو القاضي شرقية أهالي الفتيات، إلى حسن تربيتهن ليحسنّ اختيارهن، مشدداً على ضرورة تقديم التسهيلات في خطوبتهن، لا أن يضعوا طالب الزواج أمام جملة تعجيزات.

اللافت في ما يقوله أحد الأشخاص «المصلحين»، أنّ الأهالي يوافقون في كثير من الأحيان على مصالحة ذوي الشاب، فيما «لا يرضون مصالحة ابنتهم باعتبار أنها أهانت كرامتهم، وهذه من أبرز المعوقات التي تواجهنا».

الصافي: «من خضرا يا بلادي» إلى «بدنا نبطل نحفر فيها»

بسام القنطار

لم يكن وديع الصافي، صاحب أغنية «خضرا يا بلادي خضرا رزقك فوار» ليتصور نفسه يوماً يغني ليقنع اللبنانيين بأن يتركوا بلاده وبلادهم «خضرا». لكنها حصلت، وها هو الرجل في خريف العمر يقف في قصر الأونيسكو، لينشد أغنية تقول: «بدنا نبطل نحفر فيها/ ونحافظ عالصخر الصلب/ نزينها ونعليها/ نحرسها بخفقات القلب/ ونوقف تفجير الأرض/ حتى المية تجري فيها/ تحت ترابا/ تحت ترابا مية شرب». قبل أن تسأله مجموعة من الأطفال غناءً: «خبرنا يا جدي لبنان شو بدنا يا جدي نعمل يا جدي تا يبقى لبنان تنحافظ يا جدي عا بيئة لبنان».

الأغنية التي صورت فيديو كليب، تحكي قضايا الكسارات وحرائق الغابات وتغيير المناخ. ويظهر فيها الصافي جالساً تحت شجرة، وإلى جنبه مجموعة من الأطفال، منشداً مقطعاً من الأغنية «بدنا يضل عنا برد والثلج يغطي ضيعتنا. وبدنا يضل عنا شوب والشمس تزين ساحتنا»، في إشارة الى قضية تغير المناخ التي تهدد العالم وتطاول لبنان من خلال صيف طويل وجاف وشتاء قصير ينخفض فيه، عاماً بعد عام، معدل الثلوج والأمطار.

احتاج إطلاق هذه الأغنية إلى دعم مالي، بالطبع، فجاء من شركة بستاني للسيارات، وشركة المطبوعات للتوزيع والنشر التي طبعت الأغنية في كتاب يباع مع قرص مدمج ويتضمن العمل الغنائي مع نصوص علمية تشرح المشاكل البيئية التي يعانيها لبنان لإيضاح الفكرة التي يتناولها النص الشعري الذي وضعه د. سليم حمادة ولحّنه وجدي شيا. ولقد أعلن مساعد الممثل المقيم لبرنامج الأمم المتحدة الإنمائي إدغار شهاب خلال حفل إطلاق العمل أن 10% من ريع الكتاب ستعود إلى البرنامج لتنفيذ مشاريع بيئية، معلناً عن مذكرة تفاهم مع شركة المطبوعات على هذا الأمر.

يعود ريع الاغنية الى برنامج الامم المتحدة الانمائي (مروان طحطح)

> «بدنا يضل عنا برد والثلج يغطي ضيعتنا. وبدنا يضل عنا شوب والشمس تزين ساحتنا»

على المسرح وقف أيضاً وزير البيئة محمد رحال ممثلاً رئيس مجلس الوزراء سعد الحريري الذي رعى حفل إطلاق الاغنية بعنوان «وصيتكم بيئتكم»، تماشياً مع الحملة الوطنية للتوعية البيئية التي أطلقتها الوزارة في حزيران الماضي لمناسبة يوم البيئة العالمي.

توجه رحال إلى الصافي بالقول: «ربينا على صوتك وأغنيتك لبنان يا قطعة سما. وكي يبقى لبنان قطعة سما يجب أن تبقى البيئة فوق السياسة والحرائق السياسية». وأضاف: «شاءت وزارة البيئة أن تأخذ وصية الفنان وديع الصافي الى أطفال لبنان طابع الرسالة الخالدة (...) ولم يكن من السهل أن نتناول كل شجون البيئة في عدة أسطر مغناة. لذا كان من الضروري التوقف عند أولويات أساسية مثل الكسارات وحرائق الغابات والتغيير المناخي، فجاء اللحن والكلام منسجمين ليخاطبا بصوت الجد «لبنان» وديع الصافي العملاق وعلى قاعدة مشهديات طبيعة لبنان الخلابة ضمير المجتمع اللبناني من خلال أطفاله، فكانت دعوة ونداء استغاثة للحفاظ على البيئة.

بعدها توجه الصافي إلى المسرح مثقلاً بمساعدة ولديه، انطوان وجورج، ليلقي كلمة مقتضبة عن لبنان الأدب والشعر والفن. قبل أن ينشد مقطعاً من موال «رجعنالكم يا احبابنا» يقول فيه: «لبنان يا رفّة جناحين المدى، يشفي العليل من علته بنسمة هوا». علماً بأن هواء بيروت التي أنشد فيها الصافي أغنيته لم يعد يشفي العليل طبعاً.

حكي سرفيسات

استهلاك [2/2]

ضحى شمس

... ولأنّ النظر يشحّ، فالكبر عبر كما يقال، دخلت أحد دكاكين بيع الهواتف الخلوية في طرابلس، لأشتري واحداً بدل الجهاز الصغير و«المتخلّف» الذي معي. قلت للبائع الشاب خلف الكونتوار: «بدّي تلفون شاشتو وحروفو كبيرة». فسألني: «شو بتريدي معو أوبشن (وظائف، زوائد)؟» أجبته بكل ثقة: «ولا شي. بدّي تلفون بيتلفن». ضحك الشاب لبساطتي، وقال لي: «مدام كلّن بيتلفنو. بس في أوبشن: يعني هيدا معو كاميرا، هيدا معو بلوتوث، هيدا بتركّبي عليه الآي بود، إضافةً إلى الكاميرا والفيديو، وكمان بيجيب راديو. هيدا في عليه كومبيوتر ويو اس بي...». نظرت إليه بثقة مرة أخرى وقلت بهدوء ومع ابتسامة عريضة: «أعرف أن لديك كل هذا، ما أردت قوله أن تعطيني تلفوناً فيه أقل قدر ممكن من الأوبشن لأنها لا تلزمني. التلفون هو المهم بالنسبة إليّ زائداً ربما سعة التخزين». احتار الشاب الصغير: «بس مستحيل مدام، كيف بدي قلّك؟ إنو ما بقى في تلفون بس بيتلفن، كلن فيهن كاميرات.. ما بتفضلي تاخدي تلفون فيه كاميرا؟ إلا ما تعوزيها». أجبته: «... عندي كاميرتان بدل الواحدة. واحدة ديجيتال، والثانية روسية قديمة من ماركة زينيت، إضافةً إلى ثالثة بولارويد». «بولارويد؟» سأل، ثم أضاف حين شرحت لها أنها تظهر فوراً «آه، متل كاميرا مصوّر المنشية؟ (أي الحديقة العامة). ثم قال: «آني واي، كلن فيهن كاميرا، وفيديو كمان». قلت له: «عندي فيديو، ودي في دي وطبعاً عندي منبّه ومسجلة للموسيقى». يخرج جهازاً جميلاً ويشرح كأنه لم يسمع ما قلته أعلاه: «هاي حروفها كبار وفيها كاميرا وفيديو وفيكي تستعمليها للموسيقى ام بي تري إذا عم تعملي جوغينغ»... ينظر إليّ فيراني «مبلمة»، فيستطرد: «ما بعرف. إلا ما يكون ناقصك شي منن؟»، فأجبته بعد لحظة صمت: «مبلى، ناقصني جلاية صحون، عندك نوكيا بجلاية؟».

كاميرا

وعلى ذكر الكاميرات وآلات التصوير، تقول غادة، صديقتي وجارتي، وهي تتعاطى الإنتاج والتصوير، تقول تعليقاً على مقالة أمس وكثرة استهلاكنا لآلات لا حاجة لنا بها، إن لديها اليوم في البيت ثلاثة أنواع من آلات التصوير، وثلاثة أجهزة كومبيوتر، لكنها تقول مضيفة بحنين، إنها اشتاقت إلى الصور التي كنا نلتقطها أيام زمان. وتسألني: أتذكرين كيف كنا نضع الفيلم النيجاتيف؟ وثم نلتقط الصور، ثم كان علينا أن نذهب الى استديو التصوير كي يحمّضها لنا، وكان علينا انتظار وقت قبل المرور عليه مرةً أخرى لتسلّمها. وإن أردنا تكبير واحدة، نخرج الفيلم السلبي ونختار الصورة، ثم نضع الصورة الأجمل والأعز علينا في إطار، ثم نختار مكاناً لها في غرفة النوم أو الصالون، حسب... كانت كل خطوة بحاجة إلى جهد خاص ومع ذلك، كنا نظهّر الصور. وكنا نؤرشفها، ونحتفي بها ونضعها في ألبومات خاصة، نعود إليها بين الفينة والأخرى مع أصدقاء كانوا معنا يومها، أو أولاد لم يكونوا قد ولدوا بعد. وتقول إن لديها اليوم في كاميراتها الثلاث الديجيتال في البيت آلاف الصور المخزّنة لها وأسرتها، وفي مناسبات عديدة وجميلة وبعضها أصبح عزيز المنال، ولكنها للمفارقة لم تظهّر أياً منها، ولم تضع أياً منها في إطار. لا بل إنها حتى لم تفرغها في الكومبيوتر لتحفظها، وإن فعلت أحياناً، فإنها تنساها في ملفاتها. تشرب غادة من قنينة البيرة أمامها، ثم تقول بكل لطفها الأشقر: «عن جد. نحنا جيل مجلوق».

هل نحن كذلك؟ أم أن أشياء الحياة الجميلة لم يعد لها قيمة في عالم يمطرنا بالسلع الجديدة كل يوم؟ سلع لا يبرر وجودها إلا ربح من يصنعها. ما الذي يبرّر الأسعار المرتفعة لأجهزة مخترعة منذ خمسين أو ستين سنة ومستهلكة من جانب ملايين البشر في الكرة الأرضية ويومياً؟ لا شيء إلا الجدة. وأمور طفيفة أخرى من نوعٍ اللون والأوبشن... إلخ. ما يدهشنا اليوم لم يعد اختراع البراد مثلاً، بل لونه وشكله. براد أحمر ومربع أو دائري مثلاً، سيدهشنا لا شك، أكثر من الاختراع نفسه الذي حلّ مشكلة حقيقية لأهلنا. هل هذا شيء جيد؟ لا أعرف. لكنّ المشكلة الكبرى والحقيقية أن إيقاع حياتنا لم يعد يترك لنا أصلاً وقتاً للتفكير في كل هذا، في كل ما نفعله، وقتاً لإبصار الأشياء التي أصبحنا نمر بها كما تمر سيارة مسرعة بمشاهد خلّابة، لا تملك الوقت للتوقف عندها. الوقت لا شك أصبح مشكلة، لكنّ المشكلة الأكبر حين نعرف أن هذه السيارة المسرعة، لا تعرف أصلاً الى أين هي مسرعة؟ ولِمَ هي مسرعة؟ كما أنها، ككل المستهلكين، سائرة بقوة الدفع الذاتي لعالم بكامله مسوق إلى الاستهلاك. أمّا الأهم، فهو أننا لا نعرف كيف نتوقّف.